رحمة النبي ﷺ بالمنافقين
دراسة قرآنية

إعداد:
د. فوزية بنت صالح بن محمد الخليفي
مساعد وكيل جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن للشؤون التعليمية
وأستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك
بقسم الدراسات الإسلامية

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

بعث الله نبيه ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الضلالة إلى الهدى، ولقد حرص النبي ﷺ من أول يوم أرسل فيه وأمر بالتبليغ على هداية قومه وعلى إيصال هذا النور إلى كل بيت من بيوت مكة بل إلى كل فرد بعينه، وبلغ من حرصه ﷺ على هدايتهم غايته حتى عاتبه الله ﷻ بقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف:٦].

ولقد كان دافع هذا الحرص هو الرحمة الموصوف بها ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، إذ صفة الرحمة من أخص الصفات التي وصف بها وله منها الحظ الأكبر.

ولأن رحمته كانت عامة للعالمين لم تقتصر على المؤمنين فقط، حيث شملت أعدائه من جميع الصنوف ومنهم المنافقين، رأيت الكتابة عن

ذلك في هذا البحث وجعلت عنوانه: (**رحمة النبي ﷺ بالمنافقين: دراسة قرآنية**)، لإبراز رحمته ﷺ بهم من خلال دراسة آيات قرآنية ذكرها الله ﷻ في كتابه الكريم دالة على ذلك.

الهدف من البحث:

خدمة كتاب الله والغوص في درره واستخراج بعض كنوزه، ومعرفة كيف كان ﷺ يعامل المنافقين بما يشبه معاملة المهتدين من الرحمة والرفق ومقابلة الإساءة بالعفو أو الإحسان؛ فهو عاملهم على ظواهرهم دونما بحث عما تُكِنُّه سرائرهم، وتنطوي عليه دخائل نفوسهم، هو ﷺ القدوة المرتضاة من الله تعالى لكافة البشر ورحمة العالمين وأساس سلم العالم.

أهمية البحث:

تتأكد أهمية البحث لكونه يتناول آيات رحمة النبي ﷺ بالمنافقين، ومعانيها العظيمة التي اشتملت عليها.

أسباب اختياره:

١. شرف الموضوع لارتباطه بالقرآن الكريم وتعلقه بنبي الرحمة ﷺ.

٢. إبراز شيئًا من سيرة النبي ﷺ العطرة الحافلة بالمآثر والمليئة بالمكرمات، المفعمة بالفضائل، فهي مدخر الدروس التي تنبض بالنور، وترشد إلى الخير والسلام، وتوقظ الهمم، وتشحذ العزائم، وتذكي الإيمان، وترسم الطريق إلى مرضاة الله.

٣. أن موضوع رحمة النبي ﷺ بالمنافقين من الموضوعات التي ينبغي أن تنشر في هذا الزمان الذي سادت فيه بعض المعلومات المغلوطة والمكذوبة على نبينا ﷺ، والتي اتهم فيها بأنه رجل حرب، غليظ القلب، وأن الدين الذي جاء به هو دين العنف والرهبة والقتال.

٤. تزويد المكتبة الإسلامية بدراسة قرآنية تتجلي فيها رحمة النبي ﷺ بالمنافقين؛ ليستلهم منها القارئ الكريم الدروس والعبر ويستفيد من هدي الرسول ﷺ في معاملاته وفي جميع شؤون حياته ﷺ.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي الاستنباطي.

خطة البحث:

سأقسم البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهارس علمية على النحو التالي:

المقدمة: وفيها الهدف من البحث وأهميته وأسباب اختياره، ومنهج البحث، وخطة البحث، وخطوات البحث.

التمهيد: ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الرحمة في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: أهمية الرحمة وأثرها في التعامل.

المطلب الثالث: تعريف النفاق وصفات المنافقين.

المبحث الأول: رحمة النبي ﷺ للعالمين

المبحث الثاني: الآية الدالة على وصفه ﷺ بأنه رحمة للمنافقين.

المبحث الثالث: الآيات الدالة على عتاب الله ﷻ للنبي ﷺ بشأن أعدائه ودلالتها على رحمته ﷺ.

الخاتمة، وفيها أبرز النتائج العلمية للبحث، وتوصياته.

الفهارس العلمية.

خطوات البحث:

وجاءت كالتالي:

١. جمع الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع رحمة النبي ﷺ بالمنافقين.

٢. دراسة موضوع رحمة النبي ﷺ بالمنافقين في تلك الآيات من خلال استقراء كتب التفسير وغيرها واستنباط ما فيها من فوائد ونكت حول الآيات.

٣. تخريج الآيات الكريمة بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٤. الاستشهاد بأدلة من السنة النبوية المطهرة تفيض على الدراسة والاستنباط تأكيدًا أو بيانًا.

٥. العناية بتخريج الأحاديث النبوية من مصادرها الأصلية والحكم عليها ما أمكن.

٦. شرح الألفاظ الغريبة بالرجوع إلى مصادر اللغة المعتمدة.

٧. الوقوف عند بعض المسائل التي رأيتُ أنها بحاجة إلى بيان وتوضيح مع ترجيح وبيان لما جانب الصواب منها.

أسأل الله الإخلاص والقبول في القول والعمل والتوفيق لخدمة الدين ونصرته، وأن يتجاوز عن التقصير والزلل، إنه نعم المولى ونعم النصير.

التمهيد

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول
تعريف الرحمة لغة واصطلاحًا

الرحمة في اللغة: هي الرقة والعطف، إذ مادة: (ر ح م) تدور حول هذين المعنيين.

قال ابن فارس: (الراء والحاء والميم أصل واحد، يدل على: الرقة والعطف والرأفة. يقال من ذلك: رحمه يرحمه إذا رقَّ له وتعطَّف عليه، والرُّحْم والمرحمة والرَّحمة بمعنًى)[1].

وتستعمل الرحمة تارة ويراد منها رقة القلب التي تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وتارة تستعمل ويراد بها مجرد الرقة، وتارة أخرى تستعمل الرحمة ويراد منها مجرد الإحسان.

ولأهل اللغة في تعريف الرحمة عدة أقوال، ومنها:

قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: (والرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى

(١) انظر: مقاييس اللغة (٣/٣٩٨) مادة: (رحم).

المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة نحو رحم الله فلانًا)[١].

وقال ابن منظور رحمه الله: (الرحمة: الرقة والتعطف، والرحمة في بني آدم: رقة القلب وعطفه)[٢].

وقد ذكر أهل العلم عدة تعريفات للرحمة لا تخرج عن معناها اللغوي، ومما قيل في تعريفها:

أ. (الرحمة حالة وجدانية تعرض غالبًا لمن به رقة القلب، وتكون مبدأ للانعطاف النفساني الذي هو مبدأ الإحسان)[٣].

ب. (وهي رقة القلب وصفوه ورحمته للخلق وزوال قسوته وغلظته وهو من أخلاق صفوة الخلق)[٤].

ج. (الرحمة رقة القلب يلامسها الألم حينما تدرك الحواس أو يتصور الفكر وجود الألم عند شخص آخر، أو يلامسها السرور حينما تدرك الحواس أو يتصور الفكر وجود المسرة عند شخص آخر)[٥].

وجمع ابن القيم رحمه الله معاني الرحمة المتقدمة بقوله: (مما ينبغي أن يعلم: أن الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد، وإن كرهتها نفسه، وشقت عليها، فهذه هي الرحمة الحقيقية، فأرحم الناس بك من أوصل إليك مصالحك، ودفع المضار عنك، ولو شق عليك في ذلك)[٦].

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص/ ١٩٨) مادة: (رحم).
(٢) لسان العرب. تأليف: محمد بن مكرم بن منظور (١٢/ ٢٣١): مادة: (رحم).
(٣) الكليات. تأليف: أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ص/ ٤٧١).
(٤) فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن. تأليف: عبدالرحمن بن ناصر السعدي (ص/ ١١٤).
(٥) الأخلاق الإسلامية وأسسها. تأليف: الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني (٣/٢).
(٦) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم (١٧٥/٢-١٧٤).

تعريف الرحمة اصطلاحًا:

التعريف الأول بالنسبة لإضافتها إلى الله ﷻ:

رحمة الله تعالى صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تليق بجلاله وعظمته، وهي لا تدرك بذاتها وإنما تدرك بآثارها، فمن آثارها ومستلزماتها العفو عمن يستحق العقوبة، وترك عقوبته، والإحسان من الله إلى عباده، من يستحق منهم ومن لا يستحق والتفضل عليهم بالنعم.

التعريف الثاني: تعريف الرحمة بالنسبة للمخلوق:

وهي رقة يجدها المخلوق في قلبه تحمله على العطف والإحسان إلى سواه ومواساته، وتخفيف آلامه[1].

المطلب الثاني
أهمية الرحمة وأثرها في التعامل

أ. أهمية الرحمة:

مما يلفت النظر في كتاب الله تعالى أن كل السور فيه- باستثناء سورة التوبة- قد صُدِّرت بالبسملة، المشتملة على صفتي (الرحمن) و(الرحيم) وتصدير كل السور بهاتين الصفتين أمر له دلالته الواضحة على أهمية الرحمة في الإسلام، كما أن الجمع بينهما في بداية كل سور القرآن الكريم يعطي الانطباع البيّن على أن الرحمة مُقدّمة بلا منازع على كل الصفات الأخرى، وأن التعامل بالرحمة هو الأصل الذي لا ينهار أبدًا ولا يتداعى أمام غيره من الأصول.

ولقد انفردت صفة الرحمة في القرآن الكريم بالصدارة مقارنة بأي

(١) الرحمة في القرآن الكريم. تأليف: موسى عبده عسيري (ص/ ٢١- ٢٢).

صفة خلقية أخرى، حيث ذكرت في القرآن ثلاث مئة وخمس عشرة مرة وبجميع اشتقاقاتها.

والرحمة خلقٌ عظيم ووصف كريم أُوتيه السعداء وحُرِمه الأشقياء، وهي ضاربة في جذور المخلوقات، ومختلطة بكيان الموجودات، عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِئَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً، فَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْئَسْ مِنَ الجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ المُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ العَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ»(١).

وقال ﷺ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِئَةَ رَحْمَةٍ كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الْأَرْضِ رَحْمَةً، فَبِهَا تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا، وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ»(٢).

كما أن النبي ﷺ رغّب في الرحمة والشفقة على خلق الله فقال: «لاَ يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لاَ يَرْحَمُ النَّاسَ»(٣)، فالقلوب القاسية التي لا تعرف الرحمة ولا الشفقة ليست هي قلوب المؤمنين الصادقين، إذ الحياة لا تصلح إلا بالرحمة وأول من ينتفع بها صاحبها في الدنيا والآخرة، وفي الحديث عن النبي ﷺ قَالَ: «أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ بِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ فَقِيرٌ عَفِيفٌ مُتَصَدِّقٌ»(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب: الرجاء مع الخوف (٨/ ٩٩)، رقم: (٦٤٦٩).
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: التوبة، باب: سعة رحمة الله تعالى (٤/٢١٠٩) رقم: (٢٧٥٣) عن سلمان الفارسي ﷺ.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التوحيد، باب: باب قول الله تبارك وتعالى: (قُلِ ادْعُوا اللهَ أوِ ادْعُوا الرَّحْمن أيًا مَّاتَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاء الحُسْنَى) (الإسراء: ١١٠) (٩/ ١١٥) رقم: (٧٣٧٦)، عن جرير بن عبدالله ﷺ.
(٤) (٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٦/ ٤٩٠): (٧٤٥٣)، قال عنه الألباني (ص/١٧): (صحيح).

ب- أثر الرحمة في التعامل:

إذا تمكّنت الرحمة من قلوب أفراد المجتمع الإسلامي وبنيه فإنهم يرقّون للضعيف ويألمون للحزين ويَحِنّون على المريض ويَئِنّون للمحتاج وإن كان حيوانًا أعجم، وبهذه القلوب الحية الرحيمة يصفو المجتمع ويَنْبُو عن الجريمة ويصبح مصدر خير وبر وسلام لما حوله ومن حوله[1].

المطلب الثالث
تعريف النفاق وصفات المنافقين

النفاق في اللغة:

النفاق فعل المنافق يقال: نافق ينافق منافقة ونفاقًا، أما أصله فقد اختلف فيه على قولين، فقيل: إنه مأخوذ من النفق؛ لأن المنافق يستر كفره فهو كمن يدخل النفق يستتر فيه، وقيل: إنه مأخوذ من نافقاء اليربوع أي جحره، فإنه يخرق الأرض حتى إذا كاد أن يبلغ ظاهر الأرض ترك قشرة رقيقة حتى لا يعرف مكان هذا المخرج، فإذا رابه ريب دفع تلك القشرة برأسه فخرج، ومنه اشتقاق النفاق لأن صاحبه يكتم خلاف ما يظهر، فكأن الإيمان يخرج منه، أو يخرج هو من الإيمان في خفاء، وظاهر جحر اليربوع تراب كالأرض وهو في الحقيقة حفرةٌ، وكذلك المنافق ظاهره إيمان وباطنه كفر[2].

(١) انظر: مكارم الأخلاق (ص/٤٩)، خصال الأصحاب: مواقف وصور لحميد خصال ما اتصف به خيار هذه الأمة من أصحاب رسول الله ﷺ تأليف: محمد بن علي بن عثمان آل مجاهد (ص/٨٧).

(٢) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٤٥٤ - ٤٥٥)، والنهاية لابن الأثير (٥/ ٩٨) ولسان العرب (٨/ ٤٥٠٨) والقاموس المحيط للفيروز آبادي (١١٩٦) مادة (نفق).

النفاق في الاصطلاح:

هو ستر الكفر وإظهار الإسلام، وقد يسمى المنافق زنديقًا كما يفعله بعض الفقهاء[1].

صفات المنافقين:

النفاق نبت شيطاني يُروى بماء الحقد، وينمو ويترعرع في الظلام، ويطرح نار الفرقة والعذاب، ولأهله صفات خبيثة ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز، وهي كثيرة وسأذكر بعضًا منها:

١. مرض القلب:

قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة:١٠]، قال الطبري: (وأصل المرض: السقم، ثم يقال ذلك في الأجساد والأديان، فأخبر الله جل ثناؤه أن في قلوب المنافقين مرضًا، وإنما عنى تبارك وتعالى بخبره عن مرض قلوبهم الخبر عن مرض ما في قلوبهم من الاعتقاد)[2].

٢. الخوف والرعب من انكشاف أمرهم:

قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [التوبة:٦٤] يعلم المنافقون خبث طويتهم وسوء مقاصدهم ولذا هم يحذرون أشد الحذر من انكشاف سرهم، وتبين أمرهم، وأن يطلع المؤمنون على نواياهم، وما يخططونه للنيل من الإسلام والمسلمين، ولكن يأبى الله إلا أن يفضحهم من خلال فلتات ألسنتهم، وزفرات ما تكنه قلوبهم، وقد نزلت سورة التوبة لفضحهم فذكرتهم بأوصافهم ولم تذكرهم بالأسماء لتحصل فائدة التعميم بفضحهم على مر العصور.

(١) انظر: الإيمان الأوسط لابن تيمية (٧/ ٤٧١)، وطريق الهجرتين لابن القيم (ص/ ٣٧٤).
(٢) تفسير الطبري (١/ ٢٧٨).

قال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (كانت هذه السورة الكريمة -أي التوبة- تسمى (الفاضحة) لأنها بينت أسرار المنافقين، وهتكت أستارهم، فما زال الله يقول: (ومنهم ومنهم)، ويذكر أوصافهم إلا أنه لم يعين أشخاصهم)[1].

٣. الجلوس مع المستهزئين بآيات الله:

قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء:١٤٠]، من صفات المنافقين السخرية والاستهزاء بآيات الله وما هذا إلا لمرض في قلوبهم، قال الطبري: (وقد نزل عليكم أنكم إن جالستم من يكفر بآيات الله ويستهزيء بها وأنتم تسمعون، فأنتم مثله، يعني: فأنتم إن لم تقوموا عنهم في تلك الحال، مثلهم في فعلهم، لأنكم قد عصيتم الله بجلوسكم معهم وأنتم تسمعون آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها، كما عصوه باستهزائهم بآيات الله)[2].

٤. الاستهزاء بالمؤمنين:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾[البقرة:١٤]، قال الطبري: (أخبر الله عنهم في هذه الآية أنهم يقولون للمؤمنين المصدِّقين بالله وكتابه ورسوله بألسنتهم: آمنا وصدَّقنا بمحمد وبما جاء به من عند الله، خداعًا عن دمائهم وأموالهم وذَرَاريهم، ودرءًا لهم عنها)[3].

ولا ريب أن الإيمان منقبة سامية، وشرف لا يدانيه شرف، ومن أفضل ما ينادي به الله المؤمن، بيد أن المنافقين لايقيمون للإيمان وزنًا، ولا لأهله شأنًا،فهم يلقون المؤمنين بوجه، والمنافقين بوجه آخر، والوجه الحقيقي

(١) تفسير ابن سعدي (ص/ ٣٤٢).
(٢) تفسير الطبري (٩/ ٣٢٠).
(٣) تفسير الطبري (١/ ٢٩٦).

لهم هو ما يلقون به شياطينهم، أما ذلك الوجه المستعار للقاء المؤمنين فما هو إلا نفق مظلم يصدر من تحته كره شنيع للكتاب والسنة والمؤمنين.

٥. التكاسل عن الصلاة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾[النساء:١٤٢]. قال ابن كثير رحمه الله: (هذه صفة المنافقين في أشرف الأعمال وأفضلها وخيرها وهي الصلاة، إذا قاموا إليها قاموا وهم كسالى عنها لأنهم لا نية لهم فيها ولا إيمان لهم بها ولا خشية ولا يعقلون معناها)(١)، وقال القرطبي: (يصلُّون مراءاة وهم متكاسلون متثاقلون لا يرجون ثوابًا ولا يعتقدون على تركها عقابًا)(٢).

فالمنافق قد يؤدي الكثير من الأعمال الصالحة والعبادات الجماعية، بيد أنه لا يستشعر حلاوة ذلك، حيث إن حلاوة الطاعة والأنس بها لا يتذوقها قلب خرب قد مُليءَ بالحقد على الإسلام وأهله، ولذا فهو يؤدي أعمال الطاعات بحركة مجردة من الإخلاص الذي هو الأصل في مقاصد العبودية.

٦. صد الناس عن الإنفاق في سبيل الله:

قال تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾[المنافقون:٧].

ديدن المنافقين هو تجفيف المنابع في كافة سبل الخير والبر والإحسان والدعوة إلى الله، حيث يضيقون ذرعًا بما يرونه مما تنفقه أيدي المؤمنين، والتي تنفق إنفاق من لا يخشى الفقر فرحةً مسرورةً، راغبةً في نوال البر من الله سبحانه وتعالى.

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٨٧).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٤٢٢).

قال سيد قطب: (وهي قولةٌ -أي قول المنافقين للمؤمنين: لاتنفقوا- يتجلى فيها خبث الطبع، ولؤم النحيزة، وخطة التجويع التي يبدو أن خصوم الحق والإيمان يتواصون بها على اختلاف الزمان والمكان، وذلك أنهم لخِسَّة مشاعرهم يحسبون لقمة العيش هي كل شيءٍ في الحياة، كما هي في حسهم فيحاربون بها المؤمنين)[1].

وبالرغم من خبث المنافقين، وخبث صفاتهم وتنوعها وتعددها إلا أن النبي ﷺكان بهم رحيمًا رفيقًا، وذلك من أجل استصلاحهم ودعوتهم ليكونوا لبنة صالحة في المجتمع.

وسيأتي -بإذن الله- بيان الآيات الدالة على رحمته ﷺبهم.

(١) في ظلال القرآن (٦/ ٣٥٧٩).

المبحث الأول
رحمة النبي ﷺ للعالمين

إن الرحمة التي تجلت في شخصية النبي ﷺ، وفي أقواله وأفعاله على اختلاف الأحداث والمواقف والأمكنة والأزمنة لهي أكبر دليل على أنها صفة لازمة دائمة له، فهي لم تكن متكلفة أو مبتذلة تظهر في بعض المواقف دون بعض، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء:١٠٧]، وقوله: (إِنَّمَا أَنَاْ رَحْمَةٌ مُهْدَاة)[١]، فإرسال النبي ﷺ من أعظم النعم، وهي رحمة منه سبحانه وتعالى لعباده.

ولقد صيغت الآية السابقة بأبلغ نظم إذ اشتملت مع وجازة ألفاظها على مدح الرسول ﷺ ومدح مُرسله تعالى، ومدح رسالته بأن كانت مظهر رحمة الله تعالى للناس كافة وبأنها رحمة الله تعالى بخلقه، فهي تشتمل على أربعة وعشرين حرفًا بدون حرف العطف الذي عطفت به، ذكر فيه الرسول، ومرسله، والمرسل إليهم، والرسالة، وأوصاف هؤلاء الأربعة، مع إفادة عموم الأحوال، واستغراق المرسل إليهم، وخصوصية الحصر[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ عموم فيه وجهان ذكرهما ابن القيم رحمه الله فقال: (وأصح القولين في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/٩١)، حديث رقم (١٠٠)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: (هذا حديث صحيح على شرطهما)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/٤٦٣).
(٢) التحرير والتنوير (١٧/١٦٥).

[الأنبياء:١٠٧] أنه على عمومه، وفيه على هذا التقدير وجهان، أحدهما: أن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته، أما أتباعه فنالوا بها كرامة الدنيا والآخرة، وأما أعداؤه المحاربون له، فالذين عجل قتلهم وموتهم خير لهم من حياتهم؛ لأن حياتهم زيادة لهم في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة، وهم قد كتب عليهم الشقاء، فتعجيل موتهم خير لهم من طول أعمارهم في الكفر، وأما المعاهدون له فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته، وهم أقل شرًا بذلك العهد من المحاربين له، وأما المنافقون فحصل لهم بإظهار الإيمان به حقن دمائهم وأموالهم وأهلهم واحترامها وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث وغيرها، وأما الأمم النائية عنه فإن الله سبحانه رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض فأصاب كل العالمين النفع برسالته، والوجه الثاني: أنه رحمة لكل أحد، لكن المؤمنون قبلوا هذه الرحمة فانتفعوا بها دنيا وأخرى، والكفار ردوها، فلم يخرج بذلك عن أن يكون رحمة لهم، لكن لم يقبلوها، كما يقال: هذا دواء لهذا المرض، فإذا لم يستعمله لم يخرج عن أن يكون دواء لذلك المرض).

وقد ظهرت هذه الرحمة في مظهرين، الأول: تخلق نفسه الزكية بخلق الرحمة، ولهذا خص الله محمدًا ﷺ في سورة الأنبياء بوصف الرحمة ولم يوصف به غيره من الأنبياء، والثاني: إحاطة الرحمة بتصاريف شريعته ففيها من مقومات الرحمة العامة للخلق كلهم [١].

وصدق أحمد شوقي حين وصف نبي الرحمة ﷺ بقوله:

زانتك في الخلق العظيم شمائل يُغرى بهن ويُولع الكرماء [٢][٢].

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٦٥/١٧).
(٢) الشوقيات: قصيدة: (ولد الهدى) (ص/ ٩٤).

المبحث الثاني
الآية الدالة على وصفه بأنه رحمة للمنافقين(١)

قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾. كان بعض المنافقين الذين في المدينة إذا خلوا إلى بعضهم أخذوا يتحدثون في النبي ﷺ بما يؤذيه ويقعون ويسخرون منه وينتقصون من قدره، وكان النبي عليه ﷺ يطلع على كثير مما يدور بينهم، أحيانًا عن طريق الوحي، وأحيانًا عن طريق بعض المؤمنين الذين يؤلمهم ما يسمعونه منهم من الكلام الجارح فينزل الوحي يصدقهم في بعض الأحيان.

وكان النبي ﷺ يغض عن أولئك المنافقين كرمًا منه وتسامحًا، وإذا جاؤوا إليه معتذرين لم يجبهم باللوم والتعسف، بل يقبل منهم ظواهرهم، ويكل سرائرهم إلى الله ﷻ.

وكانوا يخافون من انكشاف أمرهم بإطلاع النبي ﷺ على ما يقولونه في حقه من الكلام السيئ، ولكن بعضهم لكثرة ما يعاملهم به النبي ﷺ من العفو قد ظنوا أن أمرهم قد خفي عليه، وأنه يصدقهم في كل ما يقولونه

(١) اقتصرت في هذا المبحث على هذه الآية لورود لفظ الرحمة فيها: ﴿وَرَحْمَةٌ﴾، وأما بقية الآيات الدالة على رحمة النبي ﷺ بالمنافقين كقوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة:٨٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة:٨٤]، فسيأتي الكلام عليها في مبحث عتاب الله عز وجل لنبيه بشأن أعدائه والله أعلم.

له وقبل جميع اعتذاراتهم، فلجوا في الطغيان في غوايتهم حتى بلغ لؤمهم وخبث نفوسهم أن اعتبروا ما كان يعاملهم به ﷺ من العفو والسماحة نوعًا من الغفلة والبله، فنزل القرآن يكشف حقيقتهم ويبين لهم خطأ ما توهموه في النبي ﷺ من أنه يقبل اعتذاراتهم[1].

ولما كان كل منهم يدعي الإيمان كان قوله: ﴿مِنكُمْ﴾، تعريضًا بغير الصادقين منهم.

والذي يظهر والله أعلم ثبوت رحمة النبي ﷺ للمنافقين أخذًا من هذه الآية، ومن قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء:١٠٧]. قال ابن القيم رحمه الله في تفسير هذه الآية: (وأما المنافقون فحصل لهم بإظهار الإيمان به حقن دمائهم وأموالهم وأهلهم واحترامها وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث وغيره)[2].

(١) المنافقون في القرآن الكريم. تأليف: د.عبدالله الحميدي (ص/ ٤١٨).
(٢) جلاء الأفهام (ص/ ٢٨٨).

المبحث الثالث
الآيات الدالة على عتاب الله ﷻ للنبي ﷺ بشأن أعدائه من المنافقين ودلالتها على رحمته:

العتاب هو أحد الأساليب البلاغية الرقيقة التي يعبر بها عن بقاء المودة والمحبة عن الملامة.

قال القرطبي رحمه الله: (إن المعاتبة لا تكون إلا من محب لحبيبه)[1].

وقال ابن القيم رحمه الله: (وقد أكثر الناس من مدح عتاب الأحبة واستلذاذه والسرور به، فكيف بعتاب أحب الخلق على الإطلاق إلى المعتوب عليه، ولله ما كان أحلى ذلك العتاب وما أعظم ثمرته وأجلَّ فائدته)[2].

وعتاب الله لرسوله -وإن سمي عتابًا- فهو ليس من جنس عتاب البشر بعضهم لبعض إذ لا شبه بين الخالق والمخلوق، ولأن الله قد يعاتب رسوله لا لتقصير أو خطأ بل لتنبيه أصحابه وتوجيههم من خلال رسول الله ﷺ فيوجه إليه الخطاب تشريفًا وتكريمًا مع إنه يراد به غيره[3].

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة اتفق المفسرون على أنها جاءت بأسلوب العتاب لرسول الله ﷺ.

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/٤٠١).
(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (٣/٥٠١).
(٣) منهج القرآن الكريم في تثبيت الرسول ﷺ وتكريمه (ص/٤٠٢-٤٠٣).

ومن آيات العتاب الدالة على رحمته ﷺ بالمنافقين ما يلي:

الآية الأولى: قال تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٨٠]. قال ابن كثير رحمه الله: (يخبر تعالى نبيه ﷺ بأن هؤلاء المنافقين ليسوا أهلًا للاستغفار، وأنه لو استغفر لهم، ولو سبعين مرة فإن الله لا يغفر لهم، وقد قيل: إن السبعين إنما ذكرت حسمًا لمادة الاستغفار لهم؛ لأن العرب في أساليب كلامها تذكر السبعين في مبالغة كلامها، ولا تريد التحديد بها، ولا أن يكون ما زاد عليها بخلافها)[1].

وقال الشوكاني رحمه الله: (وليس المراد من هذا أنه لو زاد على السبعين لكان ذلك مقبولًا كما في سائر مفاهيم الأعداد، بل المراد بهذا المبالغة في عدم القبول، فقد كانت العرب تجري ذلك مجرى المثل في كلامها عند إرادة التكثير، والمعنى: أنه لن يغفر الله لهم وإن استغفرت لهم استغفارًا بالغًا في الكثرة غاية المبالغ)[2].

فهذه الآية دلت على أن الاستغفار لا ينفع لمثل حال أولئك المنافقين لكن شفقة منه ﷺ ورحمة بهم استغفر لبعضهم مع علمه ﷺ أن الاستغفار لا يفيدهم شيئًا، وذلك عندما طلب ابن عبدالله بن أبي بن سلول النبي ﷺ أن يصلي على أبيه وأن يشعره قميصه، والقصة في صحيحي البخاري ومسلم: (فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما توفي عبدالله جاء ابنه عبدالله بن عبدالله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلي، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله ﷺ إنما خيرني الله فقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٨٨).
(٢) فتح القدير (٢/٥٤٩).

لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾، وسأزيده على السبعين، قال: أنه منافق قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾[1].

وقول ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه لهذا الحديث قد جلَّى الاستشكال الذي في هذا الحديث من أن النبي ﷺلم يأخذ بقول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصلاة على عبدالله بن أبي ابن سلول فنقل قول الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ في ذلك وأن النبي ﷺ فعل ذلك لكمال شفقته على من تعلق بطرف من الدين ولتطييب قلب ولده، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وإنما لم يأخذ النبي ﷺبقوله وصلى عليه إجراء له على ظاهر حكم الإسلام واستصحابًا لظاهر الحكم، ولما فيه من إكرام ولده الذي تحققت صلاحيته ومصلحة الاستئلاف لقومه، ودفع المفسدة وكان النبي ﷺ في أول الأمر يصبر على أذى المشركين ويعفو ويصفح، ثم أمر بقتال المشركين فاستمر صفحه وعفوه عمن يظهر الإسلام ولو كان باطنه على خلاف ذلك؛ مصلحة الاستئلاف وعدم التنفير عنه؛ ولذلك قال لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه، فلما حصل الفتح ودخل المشركون في الإسلام، وقلَّ أهل الكفر وذلوا، أمر بمجاهرة المنافقين، وحملهم على حكم مر الحق، ولا سيما وقد كان ذلك قبل نزول النهي الصريح عن الصلاة على المنافقين، وغير ذلك مما أمر فيه بمجاهرتهم وبهذا التقرير يندفع الإشكال عما وقع في هذه القصة بحمد الله تعالى ويقول د. صلاح الخالدي: (ولكن الرسول ﷺ غلب جانب الرحمة والشفقة من رسالته وشخصيته فصلى عليه، ومشى في جنازته ووقف على قبره)[2].

الآية الثانية: قال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة:٨٤].

ورد في سبب نزول هذه الآية أنه: (لما توفي عبدالله بن أبي جاء ابنه

(١) أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ رقم: (٨٠١)، ومسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رقم: (٤٦٥).
(٢) عتاب الرسول ﷺ في القرآن تحليل وتوجيه تأليف: د. صلاح عبدالفتاح الخالدي (ص/ ٧٦).

إلى رسول الله ﷺ وقال: أعطني قميصك حتى أكفنه فيه وأصلي عليه وإستغفر له، فأعطاه قميصه ثم قال: «آذني حتى أصلي عليه»، فآذنه، فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر بن الخطاب وقال: أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين؟ فقال: (أنا بين خيرتين: أستغفر لهم أو لا أستغفر)، ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ فترك الصلاة عليهم)[1].

(يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: ولا تصلِّ يا محمد على أحد مات من هؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عن الخروج معك أبدًا ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ يقول: ولا تتولَّ دفنه وتقبيره)[2].

ويقول القرطبي رحمه الله في توجيه استغفار النبي ﷺ للمنافقين وصلاته على أبن أبي ابن سلول: (وأما الاستغفار للمنافقين الذي خير فيه فهو استغفار لساني لا ينفع وغايته تطييب قلوب بعض الأحياء من قرابات المستغفر له والله أعلم)[3].

الآية الثالثة: قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبة:١١٣].

هذه الآية اختلف أهل التأويل في نزولها على أربعة أقوال: فقال بعضهم: نزلت في شأن أبي طالب عم النبي ﷺ؛ لأن النبي ﷺ أراد أن يستغفر له بعد موته، وقال آخرون: بل نزلت في سبب أمِّ رسول الله ﷺ، وذلك أنه أراد أن يستغفر لها، فمنع من ذلك، وقال آخرون: بل نزلت من أجل أن قومًا من أهل الإيمان كانوا يستغفرون لموتاهم من المشركين، فنهوا عن ذلك.

(١) تقدم تخريجه.
(٢) جامع البيان (١١/٦١٠).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٠/٣٢٢).

وقد تأوّل قوم قول الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ﴾ الآية، أنّ النهي من الله عن الاستغفار للمشركين بعد مماتهم لقوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾.

وقال آخرون نزلت في رجل استغفر لأبويه وكانا مشركين، فقال له علي بن أبي طالب ﷺ: أتستغفر لهما وهما مشركان؟ فقال: أو لم يستغفر إبراهيم لأبيه؟ فذكر ذلك عليّ للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية والتي بعدها[1].

والذي عليه جمهور المفسرين أن الآية نزلت في أبي طالب ﷺ.

قال ابن عطية: (واختلف المفسرون في سبب هذه الآية فقال الجمهور: ومداره على ابن المسيب وعمرة بن دينار، نزلت في شأن أبي طالب)[2].

فعن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: (لما حضر أبا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال: «أي عم قل معي لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله»، فقال أبو جهل وابن أبي أمية: (يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبد المطلب، فقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»، فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾[3]

أما بالنسبة لكلام المفسرين عن هذه الآية فقال أبو حيان: (ودلت الآية على المبالغة في إظهار البراءة عن المشركين والمنافقين والمنع من مواصلتهم

(١) انظر: جامع البيان (١٢/١٩-٢٤)، وزاد المسير (٣/٥٠٧).
(٢) المحرر الوجيز (٣/٩٠).
(٣) أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ رقم: (٨٠٢)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع وهو الغرغرة رقم (٣٤).

ولو كانوا في غاية القرب، ونبه على الوصف الشريف من النبوة والإيمان، وأنه منافٍ للاستغفار لمن مات على ضده وهو الشرك بالله)[1].

وهذه الآية متضمنة لقطع الموالاة للكفار، وتحريم الاستغفار لهم، والدعاء بما لا يجوز لمن كان كافرًا، ولا ينافي هذا ما ثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه قال يوم أحد حين كسر المشركون رباعيته وشجوا وجهه: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»، لأنه يمكن أن يكون ذلك قبل أن يبلغه تحريم الاستغفار للمشركين، وعلى فرض أنه قد كان بلغه، كما يفيده سبب النزول، فإنه قبل يوم أحد بمدة طويلة، فصدور هذا الاستغفار منه لقومه إنما كان على سبيل الحكاية عمن تقدمه من الأنبياء، كما في صحيح مسلم عن عبد الله، قال: كأني أنظر إلى النبيّ ﷺ يحكي نبيًا من الأنبياء ضربه قومه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «ربّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[2] وفي البخاري، أنّ النبيّ ﷺ ذكر نبيًا قبله شجه قومه، فجعل النبي يخبر عنه بأنه قال: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[3] قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [النساء:٤٨] هذه الجملة تتضمن التعليل للنهي عن الاستغفار، والمعنى: أن هذا التبيين موجب لقطع الموالاة لمن كان هكذا، وعدم الاعتداد بالقرابة؛ لأنهم ماتوا على الشرك، وقد قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء:٤٨]، فطلب المغفرة لهم في حكم المخالفة لوعد الله ووعيده)[4].

هذا والله أعلم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وسلم.

(١) البحر المحيط: ٥/١٠٨.
(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة أحد، رقم: (٩٩٠).
(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الديات، باب إذا عرض الذمي بسب النبي ﷺ ولم يصرح نحو: قوله السام عليكم رقم: (٦٥١).
(٤) فتح القدير (٢/٥٨٠).

الخاتمة

النتائج:

- انفردت صفة الرحمة في القرآن الكريم بالصدارة مقارنة بأي صفة خلقية أخرى، حيث ذكرت الرحمة في القرآن وبجميع اشتقاقاتها ثلاث مئة وخمس عشرة مرة.
- أن كثرة الحديث عن الرحمة في القرآن الكريم من أجل ترغيب المسلمين بالتحلي بهذا الخلق العظيم، ولبيان أن الإسلام دين الرحمة والرأفة.
- سيرة النبي ﷺ العطرة سجل حافل بالمآثر مليء بالمكرمات، مفعم بالفضائل، هي كنز المواعظ والعبر، ومدخر الدروس التي تنبض بالنور، ترشد إلى الخير، وتوقظ الهمم، وتشحذ العزائم، وتذكي الإيمان، وترسم الطريق إلى مرضاة الله.
- تضع سيرة النبي ﷺ المعالم أمام الدعاة والمصلحين وتجسم القيم العليا والمبادئ الرفيعة في شخص النبي ﷺ واقعًا محسوسًا وحياة كريمة فاضلة.

- للرحمة آثار ونتائج تنعكس على الفرد والمجتمع ولها كبير الأثر في إشاعة الأمن والاستقرار النفسي.

التوصيات:

- التأكيد على أن الإسلام هو دين الرحمة في زمن كثرت فيه الافتراءات والأكاذيب عليه.
- العناية بالبحوث التي فيها التعريف بنبي الرحمة ﷺ والدعوة إلى الدين الإسلامي بطريقة عصرية جاذبة تناسب الجيل الحالي.
- حث المسلمين على الرحمة والتراحم وضرورة اتخاذ القرآن الكريم دستورًا لهم في جميع علاقاتهم.
- ضرورة إعداد الأنشطة والفعاليات والبرامج المختلفة اللازمة لرفع مستوى التراحم في المجتمع الإسلامي وأهمية ذلك من خلال ربط ذلك بتدبر القرآن الكريم.
- العناية بدراسات مستقبلية وافية ودقيقة لمعرفة الآثار التي يحققها خلق الرحمة في الإبداع العلمي والتفوق الحضاري والتعايش الإنساني والأمن والاستقرار النفسي.

فهرس المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

١. الأخلاق الإسلامية وأسسها. تأليف: الشيخ: عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩هـ.

٢. الأدب المفرد. تأليف: محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار البشائر الإسلامية - بيروت: لبنان، ط: الثالثة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٣. أساليب دراسة الشخصية. تأليف: فيصل عباس، بيروت - لبنان، دار الفكر ١٩٩٠م.

٤. أصول التربية الإسلامية. تأليف: د .عبدالرحمن المالكي، دار الفكر- بيروت: لبنان ٢٠٠٦م.

٥. أصول التربية الإسلامية وأساليبها. تأليف: عبدالرحمن النحلاوي، دار المعرفة - بيروت، لبنان - ٢٠٠٨م.

٦. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان. تأليف: ابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيقي: محمد الفقي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى ١٣٩٥هـ -١٩٧٥م.

٧. تفسير القرآن العزيز. تأليف: أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عيسى ابن محمد المري الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (ت٣٩٩هـ)، تحقيق: أبو عبدالله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة - مصر- القاهرة، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٨. تفسير القرآن العظيم. تأليف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ط: الأولى - ١٤١٩هـ.

٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تأليف: عبدالرحمن ابن ناصر بن عبدالله السعدي (ت ١٣٧٦هـ) تحقيق: عبدالرحمن ابن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.
١٠. جامع البيان في تأويل آي القرآن. تأليف: محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١١. الجامع لأحكام القرآن. تأليف: أبو عبدالله محمد بن أحمد الخزرجي القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة: مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
١٢. جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام. تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط، دار العروبة، الكويت، الطبعة: الثانية ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
١٣. خصال الأصحاب مواقف وصور لحميد خصال ما اتصف به خيار هذه الأمة من أصحاب رسول الله ﷺ، تأليف: محمد بن علي بن عثمان آل مجاهد، مكتبة السعيد - الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
١٤. الرحمة في القرآن الكريم، موسى عبده عسيري، ط:١، مكتبة الرشد، الرياض: ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
١٥. سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي). تأليف: محمد بن إسحاق ابن يسار (ت ١٥١هـ)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ -١٩٧٨م.
١٦. صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال. تأليف: حسين ابن محمد المهدي، دار الرسالة.

١٧. السيرة النبوية. تأليف: عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت ٢١٣هـ) تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبدالحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر، الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م.

١٨. شرح صحيح البخاري. تأليف: علي بن خلف بن بطال (ت ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط: الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

١٩. صيد الخاطر. تأليف: عبدالرحمن بن عبي بن محمد بن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان - ٢٠٠٦م.

٢٠. عتاب الرسول ﷺ في القرآن تحليل وتوجيه، د. صلاح عبدالفتاح الخالدي (ص/ ٧٦). ﷺ دار القلم، دمشق.

٢١. فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالرزاق البدر: ١١٤، ط١، دار ابن الجوزي، الدمام: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٢. فتح من الرحيم الرحمن في بيان كيفية تدبر كلام المنان. تأليف: أحمد بن منصور، المكتب الإسلامي.

٢٣. فصول في التفكير الموضوعي. تأليف: عبدالكريم بكار، دار القلم، دمشق، الطبعة الرابعة ١٤٢٦هـ.

٢٤. القاموس المحيط. تأليف: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الثامنة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٢٥. مجاز القرآن. تأليف: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (ت ٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فواد سزكين، مكتبة الخانجى - القاهرة، الطبعة الأولى: ١٣٨١هـ.

٢٦. لسان العرب. تأليف: محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر - بيروت، لبنان، الثالثة - ١٤١٤هـ.
٢٧. المجالسة وجواهر العلم. تأليف: أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية - البحرين، دار ابن حزم - بيروت ١٤١٩هـ.
٢٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تأليف: عبدالحق بن غالب ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى - ١٤٢٢هـ.
٢٩. مختصر منهاج القاصدين. تأليف: ابن قدامة، تحقيق وتعليق: شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق - بيروت ١٣٩٨هـ.
٣٠. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. تأليف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية - بيروت.
٣١. معاني القرآن. تأليف: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت٣٣٨هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى ١٤٠٩هـ.
٣٢. معاني القرآن وإعرابه. المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت٣١١هـ)، تحقيق:عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٣٣. معجم مقاييس اللغة. تأليف: أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٣٤. مفهوم التفكر في ضوء القرآن الكريم. تأليف: محمد هندي، مجلة الدراسات القرآنية، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، العدد٢، ١٤٢٩هـ.
٣٥. مفتاح دار السعادة. تأليف: ابن قيم الجوزية، دار الفكر، ط: ٣، ٢٠٠٤م.

٣٦. المعجم الوسيط. تأليف: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبدالقادر، محمد النجار، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.
٣٧. المفردات في غريب القرآن. تأليف: الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ضبط: هيثم طعيمي، الطبعة: الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٣٨. المنافقون في القرآن الكريم. تأليف: د. عبدالله الحميدي، الطبعة: الأولى، دار المجتمع، جدة - السعودية ١٤٠٩- هـ-١٩٨٩م.
٣٩. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبدالقادر الأرناؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت:١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٤٠. النفاق وآثاره ومفاهيمه. تأليف: الشيخعبدالرحمن الدوسري، دار طيبة، الرياض - السعودية ١٤١٣- هـ-١٩٩١م.
٤١. النكت والعيون. تأليف: أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
٤٢. الكليات، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، ط:٢، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
٤٣. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط١، دار صادر، بيروت: بدون.